آداب التربية والتعليم في التراث الإسلامي

م.د. خمائل شاكر الجماليّ / جامعة بغداد / مركز احياء التراث العلمي العربي

ملخص

لقد استلهمت التربية التعليمية الإسلامية واستمدت قواعدها من أصول القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وأكدت تربية النشئ التربية الصالحة وتزويده بمبادئ الدين الحنيف والقيم الأخلاقية السامية ، ويعدّ الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما يتحلى به من محاسن الصفات والخصال ويشهد على ذلك قوله تعالى :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّـهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب : ٢١ ؛ فالتربية التعليمية تحول الإنسان من دين إلى أخر ومن ثقافة إلى أخرى ، والمربي يترك بصماته على الجيل شاء أم أبى .

آداب التربية والتعليم في التراث الإسلامي :

يرى التربويون أن الإسلام قد ولدّ دافعاً قوياً لتنشيط العمل التربوي عند العرب ، إذ جاءت أول الآيات القرآنية مطالبة الإنسان بطلب العلم في قوله تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) . العلق : ١-٤

ويتضح من الآيات المذكورة أن التعليم يعتمد على نشاط المتعلم ، فهو المطلب بالسعي في طلب العلم وبالقراءة ، أما غايات العمل التربوي والتعليمي فهي : دينية (يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ). المجادلة : ١١.

وقد أشاد القرآن الكريم بأهمية العلم ومنزلة العلماء ، والفقهاء ، ورجال العلم ، فقد قال سبحانه وتعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الزمر : ٩ ، كما قال تبارك وتعالى : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه: ١١٤ ، وقال رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) : " اقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد " (الترمذي ،٣٠٩/٤ ، د.ت) ، ولم يفرق الإسلام في طلب العلم بين الرجل والمرأة ، فقد روى عن الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) انه قال : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ، (الترمذي ، ٣٠٩/٤ ، د .ت) ، ومن المعروف إن الرسول الكريم كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفار إذا علموا عشرة من المسلمين الأميين القراءة والكتابة . (عريفج ، ٢٠٠٧ ، ص٤٣ – ٤٦)

وإذا كان العلم في صدر الإسلام قد حظي بهذه المكانة ، فقد ازدهر ازدهاراً كبيراً في العصر الأموي ، والعباسي وقد اهتم الأمويون بالعلوم النقلية ، وهي العلوم ذات الصلة بالقرآن الكريم ؛ كالتفسير ، والحديث الشريف ، وأصول الفقه ، والقراءات ، كما اهتموا بالعلوم اللسانية كالنحو ، والصرف ، والبيان والبديع ، إما في العصر العباسي فقد اهتم الخلفاء بالعلوم العقلية ، كالفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات ، والطب ، والكيمياء ، وقد أغدقوا على العلماء والباحثين ، وأصبحت بغداد

كعبة العلماء والمتعلمين ، وقد بلغت حركة الترجمة ذروتها ، كما قام الفلاسفة المسلمين بنقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وأفاضوا في شرحها كما مزجوا بين الآراء اليونانية والهندية في الرياضيات ، ويفضل المسلمين عرف الأوروبيون آفاقاً جديدة ، وايقضوا العقل الغربي بعد سباتّ عميق في العصور الوسطى . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ ، ص١٧٧- ١٧٨)

وتعدّ التربية التعليمية في منظور التراث الإسلامي منهجاً حياتياً متكاملاً يرتكز على تكوين شخصية الطفل (الصبي) المتميزة الصالحة في المجتمع عن طريق تزويده بالأفكار ، والقيم ، والمفاهيم العربية الإسلامية ومبادئ الدين السمحاء منطلقاً من قوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) آل عمران :١١٠

لقد استلهمت التربية التعليمية الإسلامية واستمدت قواعدها من أصول القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وأكدت تربية النشئ التربية الصالحة وتزويده بمبادئ الدين الحنيف والقيم الأخلاقية السامية ، ويعدّ الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما يتحلى به من محاسن الصفات والخصال ويشهد على ذلك قوله تعالى :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب : ٢١ ؛ فالتربية التعليمية تحول الإنسان من دين إلى أخر ومن ثقافة إلى أخرى ، والمربي يترك بصماته على الجيل شاء أم أبى . (الجندي ، ١٩٩٧ ، ص٢٥)

أهداف التربية الإسلامية :

إن أي تصور لأهداف التربية التعليمية الإسلامية لابدّ وان يضع في اعتباره إن فجر لإسلام يمثل بداية جديدة للمجتمع العربي ، وانه كان من الطبيعي أن يرسم الإسلام مثلاً أعلى للحياة مغايراً لما كانت عليه حال العرب في الجاهلية أو قبل الإسلام وعلى هذا يمكن القول بان أهم أهداف التربية الإسلامية هي :

- بلوغ الكمال الإنساني :

ولأن الإسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الديني ، فهو خاتم الأديان وأكملها وأنضجها ، يقول الله تبارك وتعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) المائدة : ٣، ويقول عز وجل :(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) آل عمران : ١١٠، ولأهمية وصول بلوغ الكمال الإنساني إلى قمته ، قال رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

(البخاري ، ٥/ ٢٢٦١ ، ١٩٨٧)

وهكذا يُعَدّ بلوغ الكمال الإنساني هدفاً رئيساً للتربية الإسلامية ، ومع إن الكمال لله وحده ، فان الإنسان لابد وان يتصف بالكمال باعتباره خليفة الله على الأرض ، قال تعالى : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة : ٣٠

- تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة :

هدف التربية التعليمية الإسلامية إلى تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه ، فالله سبحانه وتعالى يقول : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات : ٥٦، وطريقة عبادة الله وخشيته إنما تكون بالعلم ، (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) فاطر : ٢٩ ، والعلم هو سبيل التقوى الصحيحة إلى معرفة الله عز وجل ، ولذلك حث الإسلام على العلم والسعي في طلبه وفضل أهله على غيرهم درجات ، ويتصل بذلك أيضاً دور الإنسان في تعمير الأرض ، وتسخير ما أودعه الله فيما من ثروات لخدمة حياة الإنسان وتحقيق الخير للإنسان وما يتطلبه ذلك من استعمال للعلوم المختلفة ، وهكذا تصبح العلوم المختلفة من طبيعة ، ورياضية ، وإنسانية ، ونظرية كانت أو تجريبية أو تطبيقية كلها علوماً إسلامية طالما أنها متفقة ومتمشية مع الإطار الإسلامي الصحيح ، وطالما أنها لا تستعمل استعمالاً سيئاً يخرج بها عن غرضها فتنحرف إلى الفساد والشر والعدوان .

- تقوية الروابط الإسلامية :

يجب تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين ودعم تضامنهم الإسلامي وخدمة قضياهم ،يتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد للأفكار ، والمشارب ، والاتجاهات ، القيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وبهذا تكون التربية الإسلامية عاملاً فعالاً في تماسكهم ووحدتهم ، وجمع شملهم ، وتكتيل جهودهم ، وجعلهم جميعاً على قلب رجل واحد .

ومما سبق يتضح لنا إن أهداف التربية في الإسلام ليس ابتغاء الدار الآخرة فقط ولكنه يشمل أيضاً اخذ الإنسان بنصيبه من الدنيا . (جمال الدين ، ١٩٧٣ ، ص٢٨٣)

ملامح التربية التعليمية الإسلامية :

تطورت التربية التعليمية الإسلامية منذ صدر الإسلام مع التطور الحضاري العام فانتشرت في كل مكان كما توسعت العلوم ، والمعارف وتنوعت المهارات والخبرات وزاد التلاقح الحضاري ، واتخذ العلماء المنهج العلمي في البحث والدراسة وبما ينطوي عليه من قيم أخلاقية روحية أسلوباً متميزاً لهم ، كما اتسعت النظرة إلى التربية وإلى عناصرها الرئيسة ؛ بحيث أصبح للتربية التعليمية الإسلامية ملامح مميزة انفردت بها من أهمها :

١- إنها تربية خلقية : وهذه السمة تعدّ الأساس الذي يمكن اللاخذ به إلى مفاصل العلمية التربوية جميعاً .

٢- إنها تتسم بالشمول : بمعنى أنها لم تقتصر على الموضوعات الدينية بل اتسعت لكل أنواع العلوم والمعارف ، كاللغات ، والرياضيات ، والطب ، والكيمياء ، والفلك فضلاً عن الخبرات والمهارات .

٣- إنها تربية متكاملة للإنسان المتكامل : فهي في الوقت الذي تهتم بعقل الإنسان وروحه ، تهتم أيضاً بجوانب شخصيته جميعها الجسمية والوجدانية ، والاجتماعية ، أي التعامل مع النفس الإنسانية على وحدة واحدة .

٤- حرصت التربية التعليمية الإسلامية على العناية بالمتعلم والرفق في معاملته ومعالجة أخطائه بروح العطف والود والرحمة .

٥- قدرت التربية التعليمية الإسلامية العلم والعلماء تقديراً كبيراً وجعلت العلماء في المكانة التالية بعد الأنبياء اهتمت التربية العربية الإسلامية بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين والتدرج في تعليمهم من حيث أعمارهم وقدراتهم .

٦- تميزت التربية التعليمية الإسلامية بوضع قواعد وأسس رصينة للتربية وبخاصة في التعامل بين المعلم والمتعلم وطرائق التدريس وصفات المعلم ، وكما وضعت قواعد لسلوك المتعلم وواجباته .

٧- عملت التربية التعليمية الإسلامية على إثارة الدوافع وتشكيل الحوافز لطلب العلم بالإقناع من اجل تعزيز الاندفاع الذاتي للمتعلم ونشر التعليم إلى فئات المجتمع كلها وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة . (بدوي ، ١٩٨٠ ، ص١٢٨)

مراحل تطور التربية التعليمية الإسلامية :

يمكننا إن نميز بين أربع مراحل متميزة مرت بها التربية التعليمية الإسلامية في تطورها هي :

١- المرحلة الأولى (مرحلة البناء) .

وتبدأ منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ، وأهم السمات العامة للتربية التعليمية الإسلامية في تلك الفترة هي :

أ- أنها كانت تربية تعليمية إسلامية خالصة .

ب- أنها استهدفت إرساء قواعد الدين الجديد .

ج- أنها اعتمدت أساساً على العلوم النقلية واللسانية .

د- أنها اهتمت بالكلمة المكتوبة كوسيلة هامة للاتصال .

هـ- أنها أفسحت المجال لتعليم اللغات الأجنبية .

و- اعتمادها على الكتاب والمسجد والمكتبة كمراكز للتعليم .

٢- المرحلة الثانية : (مرحلة العصر الذهبي)

وتبدأ بالعصر العباسي حتى انهيار الخلافة العباسية وسقوط بغداد ، وأهم السمات العامة في هذه المرحلة هي :

أ- دخول العلوم العقلية .

ب- إنشاء المدارس .

ج- ظهور الآراء التربوية المتميزة .

٣- المرحلة الثالثة : (مرحلة التدهور والانحطاط)

وتبدأ بالعهد العثماني حتى استقلال البلاد العربية ، واهم السمات العامة للتربية التعليمية الإسلامية في هذه الفترة هي :

أ- تجمد الفكر الإسلامي .

ب- جمود المؤسسات التعليمية .

ج- العودة على الاقتصار على العلوم النقلية .

د- التميز الثقافي للأقليات الدينية غير السلامية .

هـ- دخول المؤثرات التربوية الغربية .

٤- المرحلة الرابعة : (مرحلة التجديد وإعادة البناء)

وتشمل هذه المرحلة بداية استقلال البلاد العربية ، وتمتد حتى العصر الحاضر ، وأهم السمات العامة للتربية في هذه الفترة هي :

أ- اقتباس النظم التعليمية الغربية .

ب- العناية بالعلوم العقلية والحديثة .

ج- تغلغل الثقافة الغربية .

د- محاولة تطوير مؤسسات التعليم المختلفة . (مرسي ، د.ت، ص١٥١-١٥٢)

المعلم في التراث العربي الإسلامي :

كان يطلق على المعلم الذي يعلم الصبيان (بالمكَتب) وأطلق عليه ايضاً اسم (المؤدب) ، وهو الذي يمارس مهنة التعليم مع أولاد الخلفاء والقادة والتجار .

كما أطلق على المعلم كذلك لقب الشيخ ومدرس فلأسم الأول يعني في اللغة : الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ، وقيل : شيخ من خمسين إلى أخر العمر .

ولقب (الشيخ) الذي أطلق على المعلمين آنذاك إنما لأجل الإجلال والإكبار ، وهذا ما أكده ابن منظور في مكان أخر فيقول شيخته : ودعوته شيخاً للتجبيل. (ابن منظور، د.ت، ص١٥٢)

بعد ذلك أطلق لقب (الشيخ) حتى على المعلمين الشباب ؛ اما لقب (مدرس) من حيث كونه لقباً علمياً لمن يمارس مهنة التعليم كان متأخراً في الظهور ، وأنه قد شاع استعماله بعد

ظهور المدرسة كمؤسسة تعليمية في أواخر القرن الرابع الهجري ، فجاء لقب (مدرس) أكثر اقتراباً واقتراناً باسم المدرسة لا المدرس كونه يمثل ارتباطاً بمعلم مؤسسي أكثر من ارتباطه باشتقاق لغوي . علماً أن المدرسة مشتق من كلمة (مدرس) ، وهو الموضع الذي يدّرس فيه وجمعها مدارس ، وتعني البيت الذي يُدرس فيه القرآن الكريم .(ابن منظور ، د.ت ، ص٩٦٨)

صفات المعلم في التراث الإسلامي :

١- إن يعمل بما عَلَمَ ، ويرى ابن جماعة : إن على المعلم إن لا يستنكف من إن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصباً أو سناً ، ويذهب الماوردي إلى قول : إن على المعلم تجنب قول مالا يفعل . وهذا ما أكده الغزالي في قوله :"إن المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله "

٢- طاعة الله طاعة مطلقة وما يصاحب ذلك من حسن تعامله مع طلابه ، إذ يقول ابن جماعة : " على المعلم دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن والخوف من الله تعالى ".

٣- إن يكون المعلم عطوفاً متسامحاً وعادلاً لا يميز بين طلابه ، وان لا يستعمل العنف معهم إلا عند الضرورة القصوى ، لكن ابن سحنون أجاز الضرب إذا تحمل الصبي الضرب بحسب طاقته ، وجواز الضرب هنا إذا كان هناك مبرر لذلك أي نتيجة إخلال الطالب أو الصبي بتأدية واجباته أو لسوء أدبه . ما الماوردي والغزالي وابن خلدون لا يجيزون استعمال الشدة والضرب فيعدون الطرائق التربوية التي تتسم بالشدة والقسوة تجاه المتعلمين مضرة بهم وتضعف نشاطهم وتجعلهم كسالى وتفسد المعاني الإنسانية لديهم وتؤدي بهم إلى سلوك طرائق الكذب والمكر والخديعة وتقصر همتهم عن اكتساب الفضائل .

٤- إن يكون عالماً وفير العلم متواضعاً بعيداً عن الادعاء الكاذب لمعرفة ما ليس له اطلاع عليه ، وان لا يزاحم الأكفاء ، وذهب من ابن جماعة والغزالي وابن خلدون وغيرهم إن على المعلم إن لا ينتصب للدرس إذا لم يكن أهلاً له ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه لان خلاف ذلك من آفات العلم .

٥- إن يكون نزيهاً بعيداً عن الارتزاق به ، أو جعله سلماً يتوصل به إلى الإغراض الدنيوية ، وهذا ما أكده الغزالي والماوردي إن على المعلم تنزيه نفسه عن شبه المكاسب والقناعة بالميسور . (ناصر ،١٩٧٧،ص٣٣٦)

أساليب التربية والتعليم في التراث الإسلامي :

١- أسلوب القدوة :- الهدف منه هو تحويل المنهج النظري إلى واقع عملي مُتجسدّ إمام الجميع ، لما لهُ من تأثير على السلوكيات المراد تغييرها ، فكان النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ؛ التطبيق الصادق والحقيقي لهذا المنهج .

٢- أسلوب الوعظ والإرشاد :- وهو يختلف إذ يأتي من الكبير إلى الصغير " وإذ قال لقمان لأبنه وهو يعظهُ يا بُنيّ بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم " لقمان :١٣

وقد يأتي من الصغير إلى الكبير كما في موعظة إبراهيم لأبيه كقوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما إلهة إني أراك وقومك في ظلال مبين). الإنعام :٧٤

وقد يأتي من الحق تبارك وتعالى للجميع ؛ كما في موعظة الله لنوح (عليه السلام) قال تعالى : (إنه ليس من أهلك عمل غير صالح) . هود : ٤٦

٣- أسلوب القصة : - هذه من أحب الأساليب إلى قلوب الأطفال بل والكبار أيضاً ؛ بحيث أعطاه الحق تبارك وتعالى مساحة واسعة في كتابه العزيز .

٤- أسلوب الأشباه والنظائر والأمثال: - من الأساليب الأساسية التي ركّز عليها علماء التربية ، إذ إن المثل يهدف إلى التركيز وألفات سامعه إلى النتائج والعواقب التي تؤدي إليها السلوكيات المتبعة في المثل فنرى قوله تعالى : (وأتل عليهم نبأ الذي أتيناه فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاويين) . الأعراف : ١٧٥

فالتربية هنا قامت على أساس إثارة دافع غريزي وهو التنفير من هذه الصفة المذمومة للإنسان التي هي نتيجة للتكذيب بآيات الله ، وهنا يؤدي إلى استقباح الفعل المؤدي إليها .

٥- أسلوب الحث : - إن المربي الناجح هو الذي يستغل الحث لتوظيفه للمنهج التربوي الذي يتبعه ، وهذا ما وجدناه في كثير من الآيات القرآنية إذ طرقت حادثة (حُنين وأُحد) وغيرها .

٦- أسلوب خلق العادات :- وهو أسلوب غرس القيم بتحويلها من قيمة مطلقة إلى عادة متجسدة ، فعلى سبيل المثال حثت الشريعة الإسلامية على الصلاة في سن الصغر كي يتعود على ذلك ، بحيث تصبح الصلاة عادة وخلق يتصف بها الطفل . وهذا ما يؤكده الرسول الكريم بتعليم الأولاد وهم في السابعة من العمر .

٧- أسلوب الثواب والعقاب : - هو استعمال الترغيب والترهيب ولكن كُلاً بحدودها وأصولها وقوانينها .

٨- أسلوب الاستثمار والمنهج : - هو استثمار وقت وطاقات المتربين ، وهذا ما أكده الإمام علي (عليه السلام) في استثمار طاقاتهم وأوقاتهم وفقاً لزمنهم إذ يقول : " لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم "

٩- أسلوب المجادلة الحسنة : - وهو أسلوب التفاعل بين الطرفين للأفكار والمفاهيم وإحساساتهم نحو المشاركة والمساهمة في الحصول على النتيجة ؛ بحيث يصبح مسؤول عن النتائج التي يتوصل إليها . (الحسني ، ٢٠٠٥ ، ص٨٤)

طرائق التدريس في التراث الإسلامي :

استعمل المعلمون ، والمربون المسلمون طرقاً متنوعة ، وكانت هذه الطرائق تختلف من منطقة لأخرى ، ومن عصر لأخر ، وذلك نتيجة للواقع الحضاري والاجتماعي ونتيجة للفكر السائد ، ونوع وطبيعة المادة الدراسية ، ومن هذه الطرائق : (العمايرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٨٣)

١- حلقات التدريس :

كانت العادة إن يجلس المدرس على كرسي ، أو مكان مرتفع في وسط الحلقة حتى يسهل عليه ملاحظة ومشاهدة جميع الحاضرين ، وكان الطلاب يلتفون حوله على شكل إنصاف دوائر ، وكان المعلم يلقي درسه شفوياً ، أو من كتاب بين يديه ، وقد يكون الكتاب من تأليفه أو من تأليف غيره ، وقبل أن يبدأ المعلم بتدريس الكتاب كان يعطيهم فكرة عامة عن موضوع الدرس ، ويناقشهم في موضوع الكتاب ، ويوضح ويفسر ويناقش كلما واجهته صعوبة ، وهنا كان المدرس يستعمل أكثر من طريقة منها التوضيح ، والشرح ، والتفسير حسب مقتضيات الموقف التعليمي . وعادةً كانت الحلقات تعقد في المساجد ، وكان لكل مدرس مكان خاص به ، بجانب سارية (عمود) مستنداً إليه ومتجهاً إلى القبلة ، وكان الطلاب والمستمعون يجلسون وفق ترتيب معين ، لكل طبقة (مستوى) منهم مكان معين ، فيجلس المعيدون والممتازون من الزوار عن يمين الشيخ ويساره ، ويجلس الرفقاء في درس واحد في جهة واحدة من الحلقة ليكون نظر الشيخ إليهم جميعاً ، وفي ذلك مراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين . (صالح ، ١٩٦١ ، ص٥٣ – ٥٥)

٢- طريقة القراءة :

وتتم هذه الطريقة بأن يقرأ المعلم من كتاب ، ويقوم الطلاب بالكتابة على نسخهم أو يقرأ طالب من المجموعة بوجود المعلم ، ويقوم الطلاب الآخرون ، ويكون دور المعلم تصحيح الأخطاء وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم للكلمات .

وقد شاع استعمال هذه الطريقة في بلاد الشام أثناء فترة الحروب الصليبية وبشكل خاص في تعليم القراءات القرآنية , والعلوم الدينية واللسانية ، وكان من نتائج استعمال هذه الطريقة تقرير كتب معينة للطلاب ، وكان من نتيجة ذلك أن اقتصر التعليم على مجموعات معينة من الكتب ، وكان الطلاب والمعلمون مقيدون بها لا يخرجون عما جاء فيها، واستعمل الحفظ والتكرار لما ورد من أقوال السابقين دون إبداع أو تجديد . (صالح ، ١٩٦١ ، ص٥٥)

٣- طريقة الحوار :

شاع استعمال المناظرة في التعليم الإسلامي ، وبشكل خاص في حلقات عامة ، يشترك فيها كثير من العلماء ، والشيوخ ، والمفكرين من الطلاب (طلاب العلم) وكانت تطرح فكرة أو قضية معينة ويثار حولها النقاش وتبادل الأفكار من اجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق .

وقد وعلّمت طريقة الحوار على ترقية الفكر وتنمية العقول نتيجة لما يدور من مناقشات أو أسئلة وأجوبة ، وكان المعلمون يشجعون طلابهم عليها ، ويوجبون عليهم التمرن عليها لما لها من فوائد في تقوية الحجة ، وإطلاق اللسان والقدرة على الارتجال ، وجودة التعبير وما لها من اثر على حرية الفكر والثقة بالنفس . وكان للمربين المسلمين توصيات باستعمالها ، فقد ذكر

الزرنوجي (ت ٥٩١) " إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من شهر كامل في الحفظ التكرار"" . (الزرنوجي ، ١٣٣٢هـ ، ص٣٠)

٤- طريقة الإملاء :

كانت طريقة الإملاء من الطرق المستعملة بشكل واسع في حلقات المساجد وفي المجالات العملية ، وكان إلقاء الدروس في (الإملاء) بطيئاً ، فقرة فقرة ، أو حديثاً حديثاً ، حتى يتمكن الطلاب من الكتابة ، ثم يقوم المعلم بالشرح والتوضيح . وكان الشيخ أو المعلم يراعي مستوى عقول السامعين ، وكلما روى شيئاً يعلق بالشرح والتفسير والتوضيح ، وبين ما فيه من المعاني الدقيقة التي صعب فهمها على غير العلماء ، ويدون الطلاب هذه التعليمات على هامش الأوراق التي كتبوا عليها الأصول . (صالح ، ١٩٦١ ، ص٥٩) ، وفي النهاية كان المعلم يختم درسه بالحكايات والنوادر والأناشيد والأشعار .

(السمعاني ، ١٩٥٢ ، ص ٦٠)

وكانت العادة أن يطلب المعلم أو الشيخ من المتعلمين إعادة قراءة ما كتبوه فإذا ما وجد خطأ في النقل أصلحه ، وفي ذلك ضبط لتوثيق المعلومات وصحتها وعدم التضارب فيها . وقد تطورت طريقة الإملاء ، فاتخذ المملي (المعلم) شخصاً يبلغ عنه ما يقول ليصل إلى بعد من مجلس الدرس ، وقد عرف هذا الشخص باسم المستملي . (السمعاني،١٩٥٢ ، ص٦٧)

٥- الطريقة الاستقرائية :

تهدف هذه الطريقة توجيه المتعلم إلى معرفة الحقائق والإحكام العامة عن طريق الاستقراء ، وتبدأ بالبحث عن الجزيئات عن طريقها إلى القواعد العامة . (العمايرة ،٢٠٠٠ ،ص١٨٥)

٦- الطريقة القياسية :

وهي عكس الطريقة الاستقرائية حيث إن التعليم فيها يتم من القواعد العامة إلى الجزيئات ، بحيث تذكر القاعدة العامة أولاً ثم يتم التوصل إلى الجزيئات , وكأنهم هنا يستعملون ويوجهون الطلاب إلى التدريب على التحليل . (العمايرة ، ٢٠٠٠ ، ١٨٦)

أماكن التعليم الإسلامي :

تقسم أمكنة التعليم الإسلامي في التربية الإسلامية إلى حقبتين هما :

الأولى : قبل انتشار المدارس ، والثانية : بعد انتشارها ، والحد الفاصل بينهما هو عام (٤٥٩ هـ) ، وفيه افتتحت في بغداد أول مدرسة من عديد من المدارس المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي العظيم نظام الملك ، وقبل انتشار المدارس تعلم المسلمون في :-
(مرسي ، ١٩٦٨ ، ص٢١٤ – ٢٢١)

١- الكتاب :

وقدّ عُرف في بلاد العرب قبل الإسلام ، وكان لتعليم القراءة والكتابة ولاشك أن الشباب الذين كانوا يكتبون للرسول (صل الله عليه وآله وسلم) قد تعلموا الخط والقراءة وما إليهما في بعض كتاتيب المدينة ومكة قبل الإسلام ، ويقال أن أول من تعلم الكتابة العربية من أهل مكة هو سفيان بن بن أمية ، وأبو قيس بن عبد مناف .

وكان التعليم في عهد الرسول الكريم شاملاً للجميع صبياناً ، ورجالاً ، ونساءً، واختلف حجم الكتاب من حجرة واحدة إلى مكان متسع ، وقد ازداد عدد الكتاتيب في القرن الثاني الهجري حتى أصبح بكل قرية كتاب ، وقد اشتملت الدراسة في الكتاب على القرآن الكريم وأحاديث الأخبار وبعض الإحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب ، وبعض قواعد اللغة العربية ، هذا إلى جانب تعلم القراءة والكتابة والخط الذي كان له مدرسون مختصون ، واستعمل الصبية الألواح في الكتابة . (مرسي ، ٢٠٠٠ ، ص١٨٨)

٢- القصور :

وكان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون إلى القصور ، ويجلس الأولاد إليهم يتلقون قدراً من الثقافة والمعرفة وكان الوالد يشترك في تخطيط وتحديد ما يتعلمه ابنه من معلمه الخاص ، وقد أطلق على هذا المعلم اسم (مؤدب) ، وكان بعضهم يقيم في القصور حيث أعدّ جناح للإقامة حتى يتم إشرافهم على تربية الولد ، وقد اتخذ كثير من الخلفاء والأمراء من قصورهم مجالس للأدب والعلم وعقدوا بها الندوات ، حيث دارت المناقشات والمساجلات والمناظرات .(العمايرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٨٨ – ١٨٩)

٣- المسجد :

لم يختلف المسلمون عن غيرهم في الباعث على إنشاء المساجد ، فقد أقامها الناس لإغراض دينية ، لهذا استعملوا أماكن العبادة ، والكنائس ، والأديرة ، والهياكل ، والمعابد للتدريس ؛ كما قام رجال الدين بتعليم الأولاد ، وهذا ما فعله المسلمون ، فلم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط ، بل كان للتقاضي ، ومكان لتوجيه الجيوش ومكاناً لعقد الاتفاقيات ، ومكاناً للشورى ، ومكان لحل المشاكل التي تواجه المسلمين ، ومكاناً للتدريس ، ومن المساجد التي نالت شهرة تعليمية : الجامع الأزهر وقد بناه جوهر الصقلي سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) والذي أصبح من الجامعات الأولى في العالم الإسلامي

، وجامع المنصور ببغداد ، والذي وفد إليه جمع غفير من الأساتذة والطلبة ومن أشهر من جلس فيه للقراءة ، والكتابة الكسائي ، الذي قرأ فيه علوم اللغة ، والجامع الأموي بدمشق ، وكانت به حلقات علمية متعددة ، حيث كانت فيه زاوية للمالكية يجتمع فيها الطلبة المغاربة ، وكانت به مدرسة للشافعية ، واشتمل على زاويا خصصت للطلبة للدرس والنسخ ، وجامع عمرو بن العاص في مصر ، وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسة للتعليم يؤمها الطلبة للدراسة والبحث ، ومنها حلقة الإمام الشافعي ، والمسجد الأقصى الذي اشتهر بحلقات التدريس .(النحلاوي ، ٢٠٠١ ، ص٩٩ – ١٠٤)

٤- حوانيت الوراقين :

مع انتشار الورق من منتجات مصر كثرت الكتب ، وتفنن العرب في تجليدها وتجميعها وظهرت مكتبات وحوانيت الوراقين ، على أن هذه المكتبات والحوانيت لم تقتصر على بيع الكتب بل كانت أمكنة يجتمع فيها الأدباء والمتكلمون ، وتتحول مناقشاتهم إلى ندوات ومناظرات وغالباً ما كان أصحاب هذه الحوانيت من المهتمين بالأدب والعلم والدين .

(مشنوق ، ١٩٧١ ، ص٩٩- ١٠١)

٥- منازل العلماء :

اتخذ الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم بن أبي الأرقم مكاناً يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد ، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الحكيم ، كما كان المنزل ملتقى الذين يتخيرون الإسلام ديناً فيأتون إليه ناشدين الإسلام ، ثم أقيمت المساجد مكان للقاء والاجتماع ، على إن بيوت كثيرة في التاريخ الإسلامي لعبت دور المدارس ، كمنزل الرئيس ابن سينا حيث كان يجلس إليه طلبته ومحبي علمه الغزير ليلاً ، كما كان الإمام الغزالي يستقبل تلاميذه بداره بعد أن استقال من العمل بنظامية نيسابور .

(مشنوق ، ١٩٧١ ، ص١٠١ – ١٠٣)

٦- المدارس :

هناك شبه اتفاق على إن نظام الملك الوزير السلجوقي هو أول من بنى المدارس في الإسلام في القرن الخامس الهجري ، مع انه وجد في نيسابور مدارس في مثل ذلك التاريخ ، وكان من السباب الرئيسة في انتقال التعليم من حلقات المساجد إلى المدارس ، هو ما كان يحدثه الصبية من فوضى وضجيج إثناء الدرس والمناقشات مما كان يسبب بعض الإزعاج للمصلين ، كذلك من دواعي انتقال التعليم من المساجد إلى المدارس ، عندما اتسعت العلوم وتنوعت ، وبشكل خاص عندما دخلت العلوم الطبيعية وما تحتاج من أجهزة وتجارب ، وما يسبب ذلك في إزعاجات للمصلين ، وهناك سبب آخر اقتضته ظروف الواقع ، وهو رغبة المعلمين الارتزاق من مهنة التعليم ، وكان ذلك غير ميسر

في حلقات المساجد ، ورأوا إن ذلك يتم عن طريق اشتغالهم في أماكن خاصة بالتعليم ، فكانت المدارس .

وتختلف المدارس عن المساجد ، ففي كل مدرسة إيوان ، وهو يقابل قاعة المحاضرات اليوم ، ويلحق بالمدرسة مساكن للطلبة ومرافق أخرى ، وقاعة الطعام .

ومن المؤكد إن المدارس لم تكن معروفة في عهد الصحابة والتابعين ، ولم تنشأ إلا في نهاية القرن الرابع الهجري ، ومن أهم المدارس التي ظهرت في التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى :

١- المدرسة النظامية في بغداد .

٢- المدرسة الناصرية في بغداد .

٣- المدرسة الإصلاحية في القدس .

٤- المدرسة النورية الكبرى في دمشق . (العمايرة ، ٢٠٠٠، ص١٩٠)

٦- دور الحكمة :

شهدت تطور الحركة الفكرية والثقافية في العصر العباسي ميلاد دور الحكمة التي كانت تعتبر مظهر لما توصل إليه الرقي الفكري ، كما إن اسمها يعكس مدى الاحترام الشديد للعلم باعتباره مفتاح الحكمة . وكانت دور الحكمة مراكز للدراسة والبحث يقوم العلماء ومحبو العلم بالوفود إليها ليجدوا في مكتباتها غاياتهم ، كما كانت تدرس في بعضها العلوم ، وكانت يلحق ببعضها مساكن لإقامة الطلاب ، وكان يصرف لهم الغذاء والكساء . وأهم دور الحكمة ، بيت الحكمة في بغداد ، وبيت الحكمة في رقادة بشمال إفريقيا ، ودار الحكمة في القاهرة .

(العمايرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٩٠ – ١٩١)

٨- الأربطة :

ويقصد بالرباط في المشرق الإسلامي البيوت التي كانت يقيم فيها الفقراء ويتفرغون للعبادة والتعليم ؛ إما في المغرب الإسلامي فالرباط ذات صحن واسع تحيط به غرف ، وقد يكون على طابق واحد أو طابقين تعلوه صومعة مستديرة للأذان وخصوصاً لمراقبة السواحل اتقاء الغارات البحرية الموجهة من طرف أساطيل الروم .

فالرباط حصن دفاعي اخذ تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله فيه ، وكان الرباط مدرسة يؤمها العلماء والطلبة ، وكان العلماء يرابطون فيها فترة من العام قد يكون شهراً ليدرسوا العلم احتساباً لوجه الله كما كان الطبيب يرابط ايضاً فترة من اجل مداواة المرضى ، وكذلك رجل البريد ، فالكل يرابط من اجل الجهاد في سبيل الله . (مشنوق ، ١٩٧١ ، ص١٠٤)

٩- البيمارستات والمستشفيات :

يقصد بالبيمارستات دار المرض ، وقد ظلت هذه الكلمة تطلق على دور العلاج حتى حلت محلها كلمة مستشفى ، وقد انتشرت دور الاستشفاء أو المستشفيات في العالم الإسلامي بشكل واسع ، وكان لكل بيمارستان رئيس أطباء يلقي دروسه على طلبة الطب ويأذن لمن أتم دراسته منهم وقدم رسالة في فرع الطب الذي اختاره بممارسة المهنة ويعطيه ترخيصاً كتابياً أو إجازة بذلك . (مشنوق ، ١٩٧١ ، ص١٠٦)

١٠- المجالس الأدبية :

وهي مجالس كانت تعقد في الأماكن العامة كالطرقات والساحات يتنافس فيها العلماء ويتناظرون إمام الناس ، ومن أشهر هذه المجالس الأدبية ، مجالس المربد في البصرة وقد كانت تضم إلى جانب علماء المدينة جمهرة فاضلة من علماء البادية ورواة أخبارها ، وفي المربد أيضاً كان جرير ، والأخطل ، والفرزدق وأصحابهم يلقون قصائدهم ومعارضاتهم وكان كثير من طلاب العلم وأئمة النحو واللغة أمثال الأصمعي ، وأبي عمرو أبي العلاء ، والكسائي ، والخليل ، وسيبويه يقصدون تلك المجالس ويفيدون منها .

(النحلاوي ، ٢٠٠١ ، ص٨٦ – ٩٣)

Teaching and Education manners in Islamic legacy

Assist.Dr. Khamael Shakir Al- Jamali

Arab Scientific Legacy Revival Center

Baghdad University

Abstract

Learning education in the Islamic legacy vision considers a completed The Islamic learning education took its bases from origins of Quran and honored prophet Suna , and stressed on education child a good education and providing him with principles of religion and semantic moral values and Messenger (peace on him) considers the higher example for man in his moral, behavior and goodness and witness on this Higher God said

(you had in God Messenger a good leadership for those were requesting God and last day and mentioned God a lot). Al- Ahzab Surah :٢١. learning education converts man from religion to another and from culture to another and teacher left his signs on the generation if he accept or refuse.

المصادر

- **القران الكريم**

١. ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل , **لسان العرب المحيط** ، طبع دار لسان العرب ، بيروت ، د.ت ،

٢. احمد ، سعد مرسي . **تطور الفكر التربوي** ، ط١٠ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٣. البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) . **الجامع الصحيح المختصر** ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ،ج٦ ، بيروت : دار ابن كثير ، ١٩٨٧ .

٤. بدوي ، عبد الرحمن . **فلسفة الدين والتربية** عند كنت ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٥. الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت ٢٧٩ هـ) . **الجامع الصحيح سنن الترمذي** ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرون ، ج٥ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي . د.ت .

٦. جمال الدين ، ناديا . **فلسفة التربية عند أخوان الصفا** ، المركز العربي للصحافة ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٧. الجندي ، نزيه احمد . **تاريخ التربية وعلم النفي عند العرب** ، منشورات جامعة دمشق، ط١ ، ١٩٩٧.

٨. الحسني ، سيد نذير . **فلسفة التربية في الإسلام** ، ط١ ، منشورات لسان صادق ، ٢٠٠٥ .

٩. الزرنوجي . **تعليم المتعلم طريق التعلم** ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ .

١٠. السمعاني ، عبد الكريم . **أدب الإملاء والاستملاء** ، تحقيق ماكس ويسلر ، لندن ، ١٩٥٢.

١١. صالح ، عبد العزيز . **التربية وطرائق التدريس** ، ط٦ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١.

١٢. عبد الرحمن ، هاني . **فلسفة التربية** ، مطابع القوات المسلحة ، عمان ، ١٩٦٧ .

١٣. عريفج ، سامي سلطي . **مدخل إلى التربية** ، ط٢ ،دار الفكر ، ٢٠٠٢ .

١٤. العمايرة ، محمد حسن . **أصول التربية** ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ٢٠٠٠ .

١٥. مرسي ، محمد منير . **تاريخ التربية في الشرق والغرب** ، عالم الكتاب ، القاهرة ، د.ت .

١٦. مشنوق ، عبد الله . **تاريخ التربية** ، ط٢ ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٧١ .

١٧. ناصر ، محمد . **الفكر التربوي العربي الإسلامي** , ج٢ ، ط١، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧ .

١٨- النحلاوي ، عبد الرحمن . **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع** ، بيروت ، دار الفكر المعاصر , ٢٠٠١ .